المحاضرة الخامسة : الدعوة العلنية في مكة

بعد ثلاث سنوات من الدعوة شاء أمر الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله بأن يصدع بما جاءه من الحق فنزل قوله تعالى { فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ) فبدأ الرسول يعلن عن دعوته بين الناس وأمرهم بعبادة الله الواحد الأحد ، وترك عبادة الأصنام .

كانت هذه الدعوة مرحلة جديدة من بدايات بناء الإسلام . وكانت البداية بحسب الأمر الإلهي أن تكون من الأقرباء تحديدا دون الأخرين من الناس . إذ نزل قوله تعالى : { وانذر عشيرتك الأقربين } . وبعد ذلك دعوة عامة الناس إلى التوحيد والإسلام .

ولا ريب إن أهل مكة حاربوا هذه الدعوة ولم يؤمنوا بها بسبب تقاليدهم القبلية المتعصبة التي هي من صفات الجاهلية .

وإنّ الحكمة الإلهية من دعوة الأقربين بالذات تكمن في أن هنالك حباً فطرياً بين الأقرباء إذ لا توجد حواجز قبلية أو عنصرية . ولأنه سيكون في حمية قبلية تدافع عنه ، وتعطيه قوة كبيرة ولاسيما إذا كانت له عائلة كبيرة لو آمنت به لأصبحت عضداً له في هذه الدعوة .

فضلاً عن ذلك نجد أن هذه السنة الإلهية في دعوة الأقربين متبعة في سيرة بعض الأنبياء عليهم السلام .

ومن الجدير بالإشارة إن ردود أفعال دعوة الأقربين كانت متباينة فقد استهجن عمه أبو لهب وسخريته من هذا الأمر ، وإقرار الآخرين هذا الاستهجان بسكوتهم ، وتخاذلهم عنه في حين نجد موقف أبي طالب المعلن بحماية الرسول صلى الله عليه وآله ونصرته .

وقد استخدم الرسول صلى الله عليه وآله في هذه الدعوة الوسائل الإعلامية المتاحة في ذلك الزمان ، كالخطابة وغيرها .

وكانت ردود أفعال قريش من دعوة النبي صلى الله عليه وآله هي عدم الاستجابة له بل صمموا على الوقوف في وجهها ووضع العراقيل أمامها .

ويكمن السر في استكبار مشركي مكة في محاولة اطفاء نور الله إنهم كانوا يستغلون الفقراء والعبيد والضعفاء في مكة ، وغيرهم لمصالحهم الشخصية فجاء الرسول صلى الله عليه وآله يبث في هؤلاء روحاً جديدة ، ويناصرهم ، ويعيش قضيتهم وآلامهم ، وبيان تعاليم الإسلام وفي مقدمتها وجوب تحررهم من سيطرة هؤلاء .

كذلك أدركوا مما عرفوا من طبيعة هذه الدعوة وأهدافها إنهم لن يتمكنوا من الاحتفاظ بتلك الامتيازات الظالمة فإنّ الرسول أكد في هذه الدعوة على أنّ الناس كلهم سواسية أمام عدالة السماء في ميزان الحكم والقضاء .

ووجدوا كذلك في هذا الدين الذي جاء ليتمم مكارم الأخلاق مانعاً لهم من الاستمرار في ممارساتهم اللا أخلاقية واللا انسانية .

وقد جرت مفاوضات مع الرسول صلى الله عليه وآله وكانت بصورة مباشرة وغير مباشرة مثل : ذهاب بعض الأشراف إلى أبي طالب وطلبوا من النبي صلى الله عليه وآله عن طريق أبي طالب مرتين ترك هذا الدين . وحين رفض النبي صلى الله عليه وآله سلكوا مسلكاً آخر هو منع أبي طالب من مناصرة محمد صلى الله عليه وآله وحمايته .

أما المباشرة ظنوا أنهم يستطيعون إغراء النبي صلى الله عليه وآله بالمال والملك والمنصب ولما رأت قريش إنّ جميع هذه الأساليب لم تنفع اقتنعوا أن يتركوه وشأنه شرط أن يكف عن شتم آلهتهم . لذا جاؤوا مرة أخرى إلى أبي طالب إلا أنه صلى الله عليه وآله أبى .

وبعد فشل كل المحاولات سلكوا طريق الأذى والتعذيب ليصدوا الناس عن اتباع الدين الجديد وهذه مرحلة أخرى من مراحل الدعوة الإسلامية اتصفت بالقسوة والوحشية من قبل قريش ليمنعوا رسالة الإسلامة ولم يراع القواعد والأصول الأخلاقية . ومن أمثلة تعذيب قريش للمسلمين ما حال بآل ياسر ، وبلال رضوان الله تعالى عليهم .

وكان الرسول في هذه الحقبة يثبت أصحابه ويتألم أشد الألم لكنّه كان يدعوهم إلى الصبر حتى يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده .

ومن الوسائل التي استعملتها قريش فرض الحصار على بني هاشم في شعب أبي طالب ، ومنها أيضا محاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وآله لكنها جميعا باءت بالفشل .